أثر الانتفاضة الفلسطينية على الشعر العبري المعاصر
دراسة في بعض قصائد المجموعة الشعرية ((بقلم من حديد)) للأديبة الإسرائيلية طال نيتسان

أثر الانتفاضة الفلسطينية على الشعر العبري المعاصر
دراسة في بعض قصائد المجموعة الشعرية ((بقلم من حديد)) للأديبة الإسرائيلية طال نيتسان

The Impact of the Palestinian Intifada on Modern Hebrew Poetry, a Study in Some Poems of The Poetry Collection (With an iron pen) of The Israeli Author Tal Nitsan.

دراسة تقدم بها
(م.د. موفق كامل خلف المحمدي)
جامعة الانبار – كلية الآداب

A Study Presented by
Inst. Dr. Mwaffaq Kamil Khalaf AlMehemdi

Conclusion, and bibliography on which the study was based.
Praise be to Allah every time.

١٤٤٢ هـ ٢٠٢٠ م
1442 H. 2020 J.C.

الخلاصة:

سأم المجتمع اليهودي من كثرة الحروب ودوامة العنف المتواصل, وأحس بزيف الإدعاءات الصهيونية في السلام والأمن في فلسطين؛ فبدأ الشعراء بالتعبير عن رفض ممارسات دولتهم التي لم تتمكن من تحقيق أهدافها في دولة يعيش فيها اليهود بسلام؛ فنتج ما يُعرف بـ "أدب الإحتجاج السياسي" الذي كان الشعر هو المعبر فيه عن حالة المجتمع الإسرائيلي, والذي توج بصدور المجموعة الشعرية "בעט ברזל" "بقلم من حديد" شعر الاحتجاج العبري ١٩٨٤- ٢٠٠٤ للأديبة الإسرائيلية طال نيتسان, والتي تحتوي على (٤٩) قصيدة لـ (٤٥) شاعراً يهودياً, وتم اختيار سنة ١٩٨٤ لبداية المجموعة في أعقاب مذبحة صبرا وشاتيلا مروراً بالانتفاضتين وما رافقهما من أحداثٍ شبه يومية تعكس حالة الرعب الذي تملك اليهود. وقد قسمت الدراسة الى محورين هما:

المحور الأول: صراع الشخصية الإسرائيلية بين الموت والاحتلال: يتضمن معرفة دواخل ومكنونات الشخصية الإسرائيلية وهي تعيش حالتين متناقضتين يتمثلان باحتلال إسرائيل للأرض العربية, والموت المحدق بها جراء العمليات الفدائية التي يقوم بها الفلسطينيون بشكل شبه يومي.

المحور الثاني: تأنيب الذات الإسرائيلية وجلدها: يتضمن جلد الذات والشعور بالخزي والعار الذي انتاب اليهود جراء عمليات القتل والانتقام التي يمارسها الجيش الإسرائيلي ضد الفلسطينيين.

ثم الخاتمة والمصادر التي استندت إليها الدراسة. والحمد لله أولاً وآخراً.

Abstract

With the weariness of the Jewish community due to the multitude of wars and the continuous violence cycle; It felt the falsity of the Zionist claims regarding the promise of peace and security in their desired homeland. The poets began to express their rejection and protest against the practices of their state which couldn't achieve its aims in a country in which Jews live in peace, as a result, a "literature of political protest" existed. Within this literature, poetry was the expression of the situation that prevailed Israeli community. It was crowned by the publication of the poetry collection " בעט ברזל" "with an iron pen" ,the Hebrew protest of poetry 1984-2004, for the Israeli author Tal Nitzan, which contains (49) poems belonging to (45) Jewish poets. The year 1984 was chosen as the beginning of the collection after the massacre of Sabra and Shatilla, passing with the two intifadas and quasi-daily events that accompanied it reflecting the state of terror that dominates the Jews. The study was divided into two main axes:

The first axis:

The struggle of the Israeli personality between death and occupation: It includes knowing the secrets of the Israeli character that lives two contradictory situations, represented by the Israeli occupation of Arab lands, and the death threatening the Jews because of the sacrificial attacks that the Palestinians carry out quasi-daily.
The second axis:
Israeli Self-reprimand and flogging: It includes the sense of shame and disgrace that the Jews feel towards the operations of killing, revenge and oppression practiced by the Israeli army against the Palestinians.

مشكلة الدراسة:

١- كشف مكنونات النفس الإسرائيلية وهي تعيش في حالة الصراع بين الاحتلال والموت, ومدى تأثير هذه الحالة على الواقع الذي يعيشه اليهود في فلسطين.

٢- معرفة مدى تأثير الانتفاضة الفلسطينية على واقع الحياة اليومية لليهود في إسرائيل, وكشف حالة شعورهم بالندم وتأنيب الضمير ونقد ورفض ممارسات السلطات الإسرائيلية ضد الفلسطينيين لأنها تنعكس سلباً عليهم.

منهج الدراسة:

ستقوم الدراسة على "منهج التحليل الأدبي للنص الشعري לפרשנות הספרותית של הטקסט השירי", ومناقشته من خلال منهج التحليل التكاملي הפרשנות הכולית، وفقاً لما اتفق عليه الخطاب النقدي الحديث، وبيان أثره في المجتمع الإسرائيلي.

حدود الدراسة:

إنّ الصراع هو سمة الإنسانية على مرّ التاريخ؛ لذلك يمكن القول إنّ الاحتلال الإسرائيلي للأرض العربية في فلسطين هو سمة التعبير عن هذا الصراع وأثره على المجتمع الإسرائيلي داخل فلسطين. إذن تتحدد هذه الدراسة ضمن النتاج الشعري لبعض الشعراء المعاصرين الذين ضمنت المؤلفة طال نيستان قصائدهم في المجموعة الشعرية (بقلم من حديد בעט ברזל).

تـمـهـيـد:

يُعد الشعر العبري أحد أهم المرتكزات التي استندت إليها الصهيونية في التغني بها ونشر أفكارها بين اليهود؛ من أجل شحن الهمم والتغني بأمجاد الآباء والأرض الموعودة والعودة الى فلسطين لتكوين الدولة اليهودية, وتجدر الإشارة الى أن الأدباء العبريين تمت مطالبتهم منذ بداية الهجرات اليهودية قبل قيام إسرائيل بتوجيه ابداعاتهم لخدمة المشروع الصهيوني من خلال تجميل صورة واقع فلسطين وتشجيع الهجرة إليها, وبمرور السنين تجمع اليهود فيها عبر خمس هجرات صهيونية منظمة؛ وتشكلت دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨[١].

يقول الكاتب الفلسطيني غسان كنفاني في كتابه (في الأدب الصهيوني) في حديثه عن الخلفية التاريخية والأبعاد السياسية للأدب العبري "إنّ الصهيونية قاتلت بسلاح الأدب قتالاً لا يوازيه إلا قتالها بالسلاح السياسي والعسكري؛ إذ إنّه لا يمكن فصله عن الأيديولوجية الصهيونية السياسية مع أن الصهيونية الأدبية كانت سابقة للصهيونية السياسية التي ما لبثت أن تمكنت من تجنيد الأدب لخدمة مخططاتها والسعي لتحقيق أهدافها[٢].

وهكذا تتابعت الأحداث والمواجهات بين العرب الرافضين للاحتلال وبين الإسرائيليين, ومع سأم المجتمع اليهودي من الحروب التي لا تنتهي, ودوامة العنف التي أصابتهم في مقتل؛ شعروا بزيف الإدعاءات الصهيونية في السلام والأمن الذي وعدتهم به في وطنهم المنشود, بدأ الشعراء بالاعلان في قصائدهم عن الرفض والإحتجاج[٣] ضد ممارسات دولتهم التي لم تتمكن من تحقيق أهدافها في دولة يعيش فيها اليهود بسلام؛ نتج عن ذلك "أدب الإحتجاج السياسي" الذي ظهر في إسرائيل بعد غزو لبنان عام ١٩٨٢؛ بسبب ممارسة العنف والانتقام ضد الفلسطينيين خلال الانتفاضة الأولى سنة ١٩٨٧, والثانية سنة ٢٠٠٠, وأخذ الشعراء ينتقدون تلك الممارسات التعسفية لدولتهم ويجهرون برفضها ويتنبأون بنهاية دولتهم المزعومة[٤].

وفي اطار هذا الأدب كان الشعر هو المعبر عن حالة الرفض والسخط الذي ساد المجتمع الإسرائيلي, والذي توج بصدور ديوانين شعريين الأول بعنوان "لا فائدة من الحروب والقتل" للأديب حنان حيفر[٥] والكاتب موشيه رون والذي صدر عن دار النشر هاكيبوتس هاموآحاد سنة ١٩٨٣, والثاني بعنوان "تخطي الحدود" للأديبة يهوديت كفري صدر عن دار النشر سفريات هبوعاليم سنة ١٩٨٣, ومع توالي النقد والإحتجاج ضد ممارسات الإسرائيليين

أثر الانتفاضة الفلسطينية على الشعر العبري المعاصر

دراسة في بعض قصائد المجموعة الشعرية ((بقلم من حديد)) للأديبة الإسرائيلية طال نيتسان

ظهرت المجموعة الشعرية "בעט ברזל" "بقلم من حديد" شعر الاحتجاج العبري ١٩٨٤-٢٠٠٤, للأديبة الإسرائيلية طال نيتسان[٦], والتي تحتوي على (٤٩) قصيدة لـ (٤٥) شاعراً يهودياً, وتم اختيار سنة ١٩٨٤ لبداية المجموعة بعد تنامي الإحتجاج وبلورة صوره في أعقاب مذبحة صبرا وشاتيلا مروراً بالإنتفاضتين وما رافقهما من أحداثٍ شبه يومية من قتل وتدمير للممتلكات العامة والخاصة, وحالة الرعب التي تملكت اليهود من عدم الشعور بالأمان والسلام المفقود.

وجدير بالذكر أن عنوان هذا الديوان مأخوذ من العهد القديم (خطيئة يهوذا مكتوبة بقلم من حديد برأس من الماس منقوش على لوح قلبهم وعلى قرون مذابحكم) (سفر أرميا: الاصحاح ١٧: ٢٦), حيث إنّ الكاتبة أرادت أن تسحب خطيئة يهوذا السابقة على دولة إسرائيل في ممارستها نفس النهج ضد الفلسطينيين, في إشارة الى أن هذه القصائد لا يمكن أن تُمحى لأنها مكتوبة بقلم من حديد ومنقوشة في الصخر (محفورة في الذاكرة), وهي شهادة ضد مبدأ العنف والقتل والممارسات التعسفية التي تستخدمها دولة الكيان ضد الشعب الفلسطيني. وقد أكدت المجموعة الشعرية على أمرين أساسيين هما: إنّ قصائد الشعراء لا بد أن تكتب بقلم من حديد؛ لكي تردع المخطئين وتعيدهم الى صوابهم, والثاني: لكي تبقى محفورة في ذاكرة البشر دليلاً على الظلم والشر المنبوذ من الإنسانية جمعاء, وهي بهذا العنوان تمثل كلمات مقدسة تنسحب الى خطايا إسرائيل في ممارساتها العدوانية ضد الشعب الفلسطيني, تماماً كما كتبت خطيئة سابقتها يهوذا بقلم من حديد, وأرادت لها المؤلفة أن تكون قوية ومؤثرة فضمنتها قصائد حول موضوعات رئيسية من قتل للأطفال وهدم المنازل وغلق المناطق, والانحلال الأخلاقي, والممارسات التعسفية للجنود الإسرائيليون تجاه الفلسطينيين. وفقاً لذلك يمكن تقسيم الدراسة الى محورين أساسيين هما:

المحور الأول: صراع الشخصية الإسرائيلية بين الموت والاحتلال: ويتضمن معرفة دخائل ومكنونات الشخصية الإسرائيلية وهي تعيش حالتين متناقضتين, هما احتلال إسرائيل للأرض العربية, والموت المحدق باليهود جراء عمليات الفلسطينيين الفدائية بشكل شبه يومي.

المحور الثاني: جلد الذات الإسرائيلية وتأنيبها: ويتضمن تأنيب الضمير والشعور بالخزي والعار الذي انتاب اليهود وكشفه الشعراء؛ جراء عمليات القتل والانتقام التي مارسها الجيش الإسرائيلي في مقابل كل عملية فدائية يقوم بها الفلسطينيون.

المحور الأول: صراع الشخصية الإسرائيلية بين الموت والاحتلال.

تؤكد أغلب مصادر الأدب العبري على إنّه دخل في إسرائيل, ومنذ اندلاع الانتفاضة الأولى, في سبات وصمت مريب إزاء جرائم الاحتلال في الأراضي العربية, وتطلب الأمر فترة حتى قرر عدد من الأدباء والشعراء الإسرائيليين الخروج عن صمتهم وتسجيل رفضهم واحتجاجهم على تلك الجرائم, وقد عكست هذه الصورة حالتين إيجابية وسلبية للأديب العبري خلال وبعد الانتفاضة التي تركت تأثيراً واضحاً على الحركة الأدبية في إسرائيل[٧]. على إنّ التأثيرات السلبية كانت هي الأكثر وضوحاً, وهكذا تأرجح الأدب العبري في الثمانينيات من القرن العشرين ما بين التحيز للأيديولوجية الصهيونية وربط الأحداث بماضي اليهود, وبين الابتعاد عنها ونقدها بالرفض والاحتجاج الذي كان واضحاً في الشعر أكثر منه في النثر[٨]. وليس من شك في أنّ أعوام الانتفاضتين شهدت أعمالاً بطولية للفلسطينيين كما شهدت مآس كثيرة لم تنتهي آثارها بتوقفهما. وفي فترة التسعينيات وعلى أثر الانهاك الذي أصاب اليهود في الثمانينات تحول اهتمام الشعراء والأدباء الإسرائيليين من السياسة الى الاهتمام بالأمور الشخصية والملذات الفردية, خاصة مع التقدم الاقتصادي لإسرائيل في الصناعات الالكترونية, ومع كل ذلك, نجدهم لا يخفون يأسهم من عدم قدرة المجتمع على التعامل مع القضايا الرئيسية لإسرائيل مثل الأمن والقضية الفلسطينية[٩].

إنّ هذا التحول في الأدب العبري يعبر, دون شك, عن جدلية الحياة الثقافية والاجتماعية في إسرائيل, والتي هي نتاج حالة الحرب والعنف وما ينتج عنها من انعكاسات متباينة التأثير والنتائج على المجتمع الإسرائيلي, فلو سألت مثلاً أي إسرائيلي بماذا توحي له الانتفاضة لأجابك: حجارة، زجاجات حارقة، حواجز على الطرق وفوضى, وهناك بلا شك اجابات أخرى تعكس الحالة النفسية المضطربة للمستوطن اليهودي؛ نتيجة صدمة الانتفاضة وعجز حكومة إسرائيل تجاهها[١٠]. وهكذا سئم المجتمع الإسرائيلي من دوامة العنف وفقدان الأمن, وهو ما تؤكده مؤلفة المجموعة الشعرية طال نيتسان بقولها: "لقد سئم المجتمع الإسرائيلي من وتيرة الاحتلال, ونظر إليه على إنّه مرض أعراضه كثيرة ومتشعبة تضرب يومياً في جميع الاتجاهات دون توقف, عملية ثم رد عليها ثم انتقام من الرد وانتقام من الانتقام وهكذا... علينا الاعتراف بأن استمرار الاحتلال يحتوي على بذرة ضياع دولة إسرائيل"[١١].

ونبدأ مع قصائد المجموعة الشعرية, ومع الشاعر الإسرائيلي أهارون شبتاي אהרון שבתאי[١٢] في قصيدته الساخرة "الى الطيار לטייס", وهي بصورة خطاب يوجهه الشاعر الى الطيارين الإسرائيليين وهم يقصفون المنازل ويهدمونها على رؤوس أهلها في مدينة جنين التي كانت معقل الناشطين الفلسطينيين ضد الاحتلال الإسرائيلي, ويسخر من طياريه الذين لم يميزوا بين الشيوخ والأطفال والنساء وبين النشطاء في المقاومة, يقول فيها:

טַיָּס כשתחום במסוקך, أيها الطيار حينما تحلق بطائرتك

בפעם הבָּאה في المرة القادمة
מעל לגנין فوق سماء جنين
זכר את הילדים تذكر الأطفال
וזכר את הזקנות وتذكر الشيوخ
בבתים שתפציץ في البيوت التي تقصفها
מרח על טיליך واطلي صواريخك
שכבת שוקולד بطبقة من الشوكولاتة
והשתדל לדיק وحاول أن تدقق الهدف
שתהיה להם ليكون لديهم
מזכרת מתוקה تذكار لذيذ
כשיקרסו הקירות[١٣]. عندما تحطم الجدران عليهم.

وفي تعبير آخر عن جدلية التمسك بالحياة وصور الموت المرعب, تطالعنا الشاعرة الإسرائيلية داليا ربيكوفتش دليה רביקוביץ في قصيدتها "حكاية العربي الذي مات حرقاً הסיפור על הערבי שמת בשריפה", تروي فيها صور الألم الذي يعتصر العربي وتمسكه بالحياة على أرضه ووطنه, وهو يصارع الموت الذي باغته وحطم بيته, وأخذت النيران تلتهمه بصورة سريعة لم يتمكن فيها من النجاة, واحترق مع حطام منزله الخشبي الذي ساعد النيران على سرعة إلتهامه, تقول فيها:

כשהאש אחזה בגופו זה לא קרה בהדרגה عندما نشبت النيران في جسده لم تحدث تدريجياً
לא היה קדם פרץ חם فلم يكن هناك سابق انذار من الحرارة
או נחשול עשן מחניק أو حتى دخان يخنق
ותחושה של חדר נוסף שרוצים לנוס אליו. ويخلق احساساً بالفزع الى غرفة أخرى
האש אחזה בו מיד. لأن النيران شبت على حين غرة
אין לזה משל بصورة ليس لها مثيل
קלפה את בגדיו قشرت واحرقت ملابسه
אחזה בבשרו والتهمت لحمه على الفور
עצבי העור נפגעו ראשונים وأصابت أعصاب جلده في أول الأمر
השער היה למאכלת אש. وكان شعره مأكلاً للنيران
אלהים, שורפים, הוא צעק وأخذ يصرخ. يا الله, يحرقوننا,
וזה כל מה שיכל לעשות להגנה עצמית وهذا كل ما استطاع فعله, دفاعاً عن نفسه
הבשר כבר בער עם קרשי הצריף فقد احترق جسده مع بقايا أخشاب كوخه
שקימו את הבערה בשלב הראשון[١٤]. التي ساعدت النيران في مراحله الأولى.

وللشاعرة داليا ربيكوفيتش قصائد أخرى مؤثرة جداً منها "الطفل لا يقتل مرتين תינוק לא הורגים פעמיים[xv]" تتحدث عن مذبحة صبرا وشاتيلا التي حدثت خلال غزو لبنان سنة ١٩٨٢, وقصيدة "أم تتهادى אמא מתהלכת".

ويطالعنا الشاعر שי דותן[xvi] شاي دوتان بقصيدته "لحظة واحدة רגע אחת" التي كتبها على لسان جندي إسرائيلي قتل فلسطينياً بريئاً لم يتسبب له بأذى, ويعبر من خلالها عن الهوة العظيمة التي تفصل بين المثل العليا التي يتشدق بها الاحتلال, وبين ممارسات الجنود الإسرائيليين ضد الشعب الفلسطيني الأعزل؛ في صورة تطارد القاتل حتى في نومه, يقول فيها:

רק רגע אחד. אני רוצה لحظة واحدة فقط. إنني أريد
לצעק יריתי בו. הוא התקדם أن أصرخ لقد رميته بالنار. وهو يتقدم
בפנים חשודים. מי ידע שכיסיו بوجه واجم. من يعلم أن جيوبه
ריקים, שתיקו מלא בגדים. فارغة, وحقيبته ملئ بالملابس
יתכן שלא היה לו אשור עבדה, ممكن أنه لم يكن لديه تصريح بالعمل,
שגנב פעם את הגבול. אולי לא שמע وتسلل من الحدود لمرة واحدة. وربما لم يسمع
את ידי צועקות, את הדם يدي تصرخ, والدم
חוטב בחזה, מקיש ברקות. يقرع صدري, وينقر في الاصداغ
לפעמים הוא מקיץ בשנתי وأحياناً هو يوقظني من نومي
קשה כמו עופרת, ריק כמו רוח قاسي كما الرصاص, وفارغ كما الهواء
אומר לי: הורגי, לא ידעתי يقول لي: قاتلي, لم أعرف
שאתה במדה כזואת[xvii]. أنك بهذا المستوى.

وفي قصيدة من أربعة أبيات يحاول الشاعر طوبيا ريبنر טוביה ריבנר[xviii] أن يجمل الصورة التي قبحتها ممارسات الجيش الإسرائيلي وينفي فيها رغبته في أن يبتلع الفلسطينيين, ويسأل شخص مجهول ويخاطبه بالقول هل يسعفني الحظ وأنجو من الحرب القادمة كما نجوت أنت من الحروب السابقة؟, ولكن هذه الأسئلة نجدها مؤشر قياسي لدواخل النفس الإسرائيلية تملئها بإحساس قدري بتوالي الحروب واستمرار الصراع والحلقة المفرغة, وهو صراع وجدلية معقدة بقدر تعقد الوضع بين الفلسطينيين والإسرائيليين ووحشيته, يقول فيها:

זאת לא רצינו, לא, זאת לא רצינו. لم تكن هذه رغبتنا, لا, لم تكن هذه رغبتنا
בלעדיהם מה אנו, ולשם מה? فماذا نكون من دونهم, ولأجل ماذا؟
לא כך חשבנו, לא רצינו, לא, זאת לא רצינו لم نفكر في هذا, ولم نرغب به, لا, لم تكن هذه رغبتنا
שכך תבלע האדמה[xix]. في أن تبلعهم الأرض هكذا.

وهنا تأتي شهادة أحد جنود الاحتلال الصهيوني الاحتياط, والتي كتبها في رسالة مفتوحة نشرها موقع صحيفة يديعوت أحرونوت بتاريخ ٢٠٠١/٨/٢٩, يصف فيها حالة الرعب والخوف الذي دب في صفوف جنود الاحتلال وهم يواجهون الانتفاضة بقوله: "أخاف من الموت بلا سبب كالأبله على الرمال النتنة المسماة قطاع غزة.. عدت من حرب لبنان, ومن الانتفاضة الأولى, ومن الانتفاضة الثانية.. عدت بحالة جيدة ولكن بمحض الصدفة.. لا أؤمن بالمعجزات ولا أعتقد أن لكل طلقة عنواناً, ولكن أنا أيضاً ليس لي عنوان.. وإذا مت فسوف أموت كالأبله لا ينتبه له أحد.. أشعر بأن أولئك الجالسين في مكاتبهم العاجية لا يعيروننا أي اهتمام, وأسأل نفسي هل رئيس حكومتي أو رئيس أركاني يعرفان ما الذي يجب علينا القيام به لنعود الى البيت سالمين؟.. ذلك أنه لم يعد بالإمكان أن يقنعاني بأنه جيد أن نموت من أجل وطننا ... هنا في عزة"[xx].

وفي قصيدة الشاعرة الإسرائيلية داليا بيلح דליה פלח "لم نعرف آنذاك אז עוד לא ידענו" تتعرض فيها الى الاحتلال الإسرائيلي للأرض العربية, وكأنها تتنصل فيها عن المسؤولية عنه وترفض مبدأ الحروب وتستنكرها, وتشير الى أنّها خُدعت فيها وتحملت أعباءها مثلها مثل سائر اليهود, تقول فيها:

אז עוד לא ידענו لم نعرف أبداً
שהכבוש יהיה תמיד أن الاحتلال سوف يكون دائماً
גם אז הוא יזכר בגעגוע سوف يتذكر ذلك بشوق
איך היה צעיר, הכבוש, كيف كان صغيراً, وكان الاحتلال
הוא היה צעיר. וגם הם היו צעירים. لقد كان صغيراً, وكاموا هم أيضاً صغاراً
מתנדבים עם נשק סיני, משוררים, محاربون بسلاح صيني, وشعراء
אבל הכבוש לא הכיר אותם, ولكن الاحتلال لا يعرفهم
ועפר פ., שאביו נפצע בקרב על ג'נין, وعوفر الذي اصيب أبوه في معركة جنين

והיו לו רסיסים תקועים בגב, اصيب بشظايا بالظهر
אמר: ממילא תהיה עוד מלחמה. قال: ستكون هناك حرب أخرى
כך למד האב. وهكذا علمه أبوه
כך היה הכבוש הצעיר, وهكذا كان الاحتلال صغيراً
ואיך הוא עכשו?[xxi]. فكيف هو الآن؟.

وتؤكد الشاعرة أن ثقافة الحرب أصبحت شائعة لدى الإسرائيليين؛ حتى إن الآباء يعلمونها لأطفالهم؛ فهم ما إن تنتهي حرب حتى يبدأ استعدادهم للحرب القادمة, وهي تثير الاحتجاج ضد الاحتلال؛ ولكن هذا الاحتجاج لم يكن ضد الآثار التي خلفها الجيش الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني؛ بل ضد استمرار دوامة العنف والوضع الذي آلت إليه الحياة في المجتمع الإسرائيلي, ودليل ذلك, نجد أنّ الشاعرة ذكرت عوفر اليهودي الذي أُصيب في معركة مدينة جنين؛ بينما لم تذكر ما خلفه الاحتلال الإسرائيلي من قتل وخراب وتدمير لحق بالفلسطينيين هناك, ويعبر عن ذلك أيضاً المفكر الصهيوني حايم بن شحر حاييم بن شاحر بقوله: "إن الواقع الصهيوني الحالي في إسرائيل يختلف تماماً عن الحلم الصهيوني الأصلي فيهود العالم لم يتجمعوا كلهم فيها وهي أبعد من أن تكون جنة عدن التي وعدت الصهيونية اليهود بها"[xxii].

وفي مجال النثر يؤكد الأديب מאיר שליב[xxiii] مئير شاليف في روايته "רומן רוסי" "رواية روسية" ١٩٨٩ بقوله: "إنّه مجرد أسطورة زائفة لا أساس لها روج لها الرواد الأوائل، ودفعوا اليهود إلى تصديقها... إنّ الصهيونية لم تشيد دولة في فلسطين؛ وإنّما شيدت مقبرة يتجمع فيها اليهود من كل النواحي دون أن يعلموا أنّهم على موعد مع الموت"[xxiv]. وفي قصة خراء واقحوان חרא וחרציות يصور الأديب الإسرائيلي بمبي במבי حادثة حقيقية أثناء اقتحام الجنود الإسرائيليون مخيم جنين מחנה ג'נין سنة ٢٠٠٢, وقتلهم رجل فلسطيني معاق يجلس على كرسي متحرك لمجرد أنّهم ضنوا أنه مفخخ يقول فيها:

"מאוחר יותר התברר שהמח"ח התריע באותו בוקר על אחד המבוקשים הידועים בג'נין, נכה על כיסא גלגלים, שהתכונן לבצע פיגוע התאבדות. הפלח"ן חשבן שמדובר באותו מבוקש וירו ירי אזהרה כדי לעצור אותו. הנכה המשיך לגלגל את הכיסא ואז היה ברור לכולם שהוא ממולכד. רק מאוחר יותר התברר שמדובר בסתם נכה. לקח לי שלושה ימים להבין מדוע הנכה המשיך לנוע. גם אבא שלי יושב בכיסא נכה, וכשהיית שוב באותו מקום, שמתי לב שתנועת הכיסא היתה במורד השביל וכיסא גלגלים לא ניתן לעצירה באחת כאשר הוא במורד"[xxv]. "تبين فيما بعد, أن قائد اللواء قد حذر في صباح ذلك اليوم من أن أحد المطلوبين أمنياً المعروفين في جنين, وهو معاق على كرسي متحرك, يحضّر لتنفيذ عملية انتحارية. واعتقد جنود وحدة المفرقعات الهندسية أن هذا الشخص هو المقصود, وأطلقوا رصاصات تحذيرية نحوه لكي يعتقلوه. لكن المعاق واصل السير بكرسيه, وعندئذٍ تأكد لهم أنه مفخخ. ثم تبين لاحقاً وبعد فوات الأوان أنه مجرد معاق, واحتجت الى ثلاثة أيام لكي أعرف لماذا واصل المعاق السير بكرسيه. أبي أيضاً يجلس على كرسي متحرك, وعندما جئت ثانية الى نفس المكان لاحظت أن الكرسي كان يسير على طريق منحدر ولم يكن سهلاً عليه ايقافه مرة واحدة وهو على المنحدر".

ويؤكد القاص على أنه ليس من السهل على جنود الاحتلال أن يمحو أثر الجريمة أبداً بقوله:

"יום אחר בדרכנו למשימה כלשהי, קיבלנו פקודה מהגדוד- לרמוס את הכיסא בשרשראות הטנק עד שלא יבחינו שזה היה כיסא יל נכה, ולכל בני ישראל לא יחרץ כלב לשונו, ירון הנהג לא אוהב את הפקודה אבל רוצה לראות איך זה אחרי שדורסים. דורס פעם אחר. אבל רואים שזה היה כיסא. דורס עוד, וקל עדיין לדעת שזה כיסא נכה. מסובב את הטנק על הכיסא עושה ניוטרל, ושונה ומסה, וטוחן מימין וטוחן משמאל. ושוב שישים וארבע טונות פלדה לא יכולות להסתיר את היש"[xxvi]. "وفي اليوم التالي وبينما كنا في طريقنا الى مهمة ما, تلقينا أمر من الكتيبة بدهس الكرسي بجنازر الدبابة حتى لا يلاحظ أي أحد أنه كرسي معاق, ولا ينبح كلب على بني إسرائيل, ولم ترق هذه الأوامر لسائق الدبابة يارون, لكنه أراد أن يرى شكل الكرسي بعد دهسه, دهسه مرة, لكنه ما زال واضحاً أنه كرسي معاق, ودهسه مرة أخرى, وما زال من السهل معرفته كرسي معاق, أدار الدبابة عليه وكررها يميناً وشمالاً عدة مرات, ولم يستطع أربعة وستون طناً من الحديد أن تخفي واقعه.

وفي كل مرة يحقق الإسرائيليون فيها انتصاراً عسكرياً على العرب نجدهم يصورون العربي بصورة محطمة ومنهزمة, وفي أغلبها صورة أسير ضعيف مقابل صورة الجندي الإسرائيلي القوي الذي يشعر بالغرور والزهو مما تحقق له من انتصار[xxvii].

نجد ذلك واضحاً في قصة بقعة כתם للقاصة الإسرائيلية إفرات نافيه אפרת נווה التي تصور فيها العربي وهو أسير مصاب بإصابات بليغة في احدى المعارك مع القوات الإسرائيلية, غير إن الأوامر صدرت للجيش بالإبقاء على حياته كونه ناشط في المقاومة ومطلوب أمنياً حيث تقول فيها: "הוא שוכב שם,נוזל סמיך אדום ניגר ממנו לכיוונים שונים, מוקי רופא הגדוד מפעיל ידיים זריזות לכל עבר, יד אחת מזריקה לו זריקה לווריד, השנייה מרימה את ראשו ומגביהה את סנטרו, לידו אורן עושה את מה שמוקי מורה לו, אני עומד ומסתכל על המדמם ולא מבין דבר מן המלים המוחלפות ביניהם"[xxviii].

"إنه ممدد هناك, تتدفق منه دماء حمراء متخثرة في كل الاتجاهات, انحنى عليه طبيب الكتيبة موكي, ويداه تتحركان بخفة في كل اتجاه, يد تحقنه في الوريد, واخرى ترفع رأسه وذقنه, وبجانبه الممرض اورن يساعده ويعمل كل ما يمليه عليه موكي, وأنا أقف هناك اتطلع الى الجريح, ولا أفهم الكلام الذي يدور بينهم".

وهكذا رفض الشعراء الإسرائيليون ممارسات جيشهم الوحشية ضد الفلسطينيين خلال الانتفاضة, وعبروا في قصائدهم عن القلق النفسي وفقدان الأمن الذي ساد المجتمع الصهيوني خلالها, ولكن القول الفصل في قضية تعامل الشعر العبري مع السياسات الإسرائيلية يؤكد أنّ أغلب الشعراء اليهود لا يخرجون على عدد من الثوابت فهم يتفقون جميعاً, مهما بلغت درجة

احتجاجهم, على عدم عودة القدس أو اللاجئين أو الرجوع الى حدود ١٩٦٧ أو الثقة في العرب!, أي إنّ رفضهم لممارسات جيشهم نابع من الخوف على مستقبل اليهود؛ وليس الحزن على مصير الفلسطينيين!؟. وخلاصة الأمر نجد أنه ظهر لدى هؤلاء الشعراء ميل نحو رفض الأفكار الصهيونية والتمرد على فكرة الأدب المجند أو الملتزم بخدمة المؤسسة الإسرائيلية الحاكمة والترويج لها, فكان التمرد والرفض هو القاسم المشترك الذي يجمع بين كل الأعمال الأدبية شعرية كانت أم نثرية[xxix]. ويعبر عن ذلك الأديب حنان حيفر بقوله: "لقد تبدلت الأنماط الأساسية للظاهرة الأدبية في إسرائيل, وأصبح هناك خلط بين الأدب الرفيع والأديب الوضيع, وقد سيطر الرمز الخطابي على الأدب؛ فأوجد توتراً بين القارئ والأديب أسفر عن تطور أدب يتملق القارئ, ولا عجب في أن يسود هنا صمت أهل القبور الذي يستمر لسنوات[xxx]". وبالتالي فان هذه الرؤية في حقيقتها تعكس حالة تهرب الشعراء من المسؤولية الانسانية والأدبية والأخلاقية تجاه معاناة الفلسطينيين؛ لذلك فإنّ احتجاجهم على العنف الذي يمارسه الجيش الإسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني يأتي في اطار التباكي على القتلى الإسرائيليين الذين يسقطون بفعل عمليات المقاومة الفلسطينية, وقد عبرت عن ذلك الشاعرة حافة بنحاس هاكوهين في قصيدتها "משיח המסיך": كيف سنقول شيئا في يوم يغطي فيه الصمت عيوننا/ مثل الخجل/.../ من رؤية أعضائنا منتشرة في مسلخ الشارع, وتقول: "الكثيرون يعبرون عن احساس الضحية, ويكتبون عن الموت الذي يتأهب للانقضاض عليهم في أية لحظة.. ويكتبون وصيتهم.. وكيف سيواصل من سيأتي بعدهم.. هناك احساس بالتماثل بين الزواج والجنازة؛ فما إن تبدأ الحياة حتى تنتهي". ويقول الشاعر حاييم جوري: "كانت لنا في الماضي أيام صعبة كهذه، ولكني أشك في أنّه كانت من قبل أياماً سيئة مثل أيامنا هذه"[xxxi].

المحور الثاني: جلد الذات الإسرائيلية وتأنيبها.

هناك دوافع نفسية تحث الشاعر الى قول الشعر وإنجاز قصيدته تحت ظرف معين، وهكذا يبقى نص الانتفاضة الشعري حاضراً في الشعراء حضوراً لافتاً؛ ذلك إنّه، وخلافاً للنص القصصي أو الروائي، يمكن أن يكتب في أثناء معايشة الحدث مباشرةً، ولكن نصيب الانتفاضة كان من النثر أكثر منه من الشعر.

وتجدر الإشارة الى إنّ الانتفاضة الفلسطينية دفعت قسم من الشعراء والأدباء الإسرائيليين الى أن يصبحوا متطوعين في جيش الاعلاميين في الدفاع عن الجرائم الإسرائيلية أمام الرأي العام المحلي والعالمي؛ فأخذوا يتأملون أحداثها من زاوية المعاناة اليهودية في الماضي، زاوية النظر الوحيدة لديهم, التي تحررهم من المسؤولية الجاثمة على صدورهم كمحتلين، بينما عبر قسم آخر منهم عن حالة الرفض والاحتجاج ضد تلك الممارسات ودوامة العنف التي لن تنتهي ومنهم الأديب حنان حيفر بقوله: "إنّ صمت المبدعين في العامين الأخيرين يتجاوز كونه مسألة ثقافية تشهد على التغيير الذي مر به المجتمع الإسرائيلي برمته... فالمكان الكلاسيكي للشاعر هو إزاء شعبه شاهراً بوجهه مقولات أخلاقية مؤلمة, ولكنه في الحال الذي نعيشه الآن: لقد فَقَدَ المبدعون مكانهم إنّهم يعيشون كمجتمع فقد البوصلة والضمير, وإنّ ما تفعله إسرائيل اليوم في المناطق أخطر بكثير مما فعلته خلال حرب ١٩٦٧"[xxxii], ويؤكد الشاعر نتان زاخ على ذلك بقوله: "إنّ دولة تزعم أنّها دولة قانون تنفذ أعمالاً ارهابية ضد أعدائها والشعب صامت والمحاكم تصادق على هدم المنازل وتشريد الفلسطينيين.. سأقولها بكل صراحة إنّ إسرائيل هذه الأيام أصبحت غريبة عليّ أكثر فأكثر.. وأنا خجل منها في وقت أصبحنا فيه أسوء من أعدائنا"[xxxiii]. وزاد من هذا الاحساس تأسيس عدة حركات احتجاجية ضد تلك الممارسات ومنها حركة "جنود ضد الصمت חיילים נגד שתיקה[xxxiv]" والتي جمعت شهادات أكثر من خمسمائة جندي إسرائيلي سابق, وكانت تحت شعار "الانسانية المفقودة في الأراضي المحتلة", وحركة "نساء متشحات بالسواد נשים בשחור[xxxv]" تأسست سنة ١٩٨٨ بعد شهر من الانتفاضة الأولى التي انطلقت في ١٩٨٧/١٢/٩, وحركة "كتلة السلام גוש שלום[xxxvi]" تأسست سنة ١٩٩٣, وحركة "اللجنة الإسرائيلية ضد هدم المنازل הוועד הישראלי נגד הריסת בתים[xxxvii]" تأسست سنة ١٩٩٧ ضد عمليات هدم منازل الفلسطينيين في الأراضي المحتلة, وحركة " تعايش תעאיוש[xxxviii]" تأسست سنة ٢٠٠٠ بعد انتفاضة الأقصى[xxxix], وغيرها, وهو أمر دفع الشعراء الى التعبير عن سخطهم وشعورهم بالخزي والعار وتأنيب الضمير[xl] مما يقترفه جيشهم من ممارسات تفقدهم الشعور بالأمن, وتظهر للعالم وجه إسرائيل القبيح يقول عنها الأديب حنان حيفر: "احتوت قصائد هؤلاء الشعراء, في مقابل غيرها من الأعمال, على شهادة واعتراف قوي بالظلم الذي تمارسه أل "النحن" (الإسرائيليين) ضد "هم" (الفلسطينيين), إننا نشعر بالخزي والعار وبرغبة قوية في الانفصال عن هذا العار, فمن الصعب ألا نميز بين الاحساس بالعار وبين الغضب الملموس في أقوال الشعراء حول حقيقة الظلم الذي لحق بهم بسببنا أو باسمنا"[xli]. وهكذا انطلق الشعراء الإسرائيليون في التعبير عن جلد الذات الإسرائيلية ونقدها ووصفها بأبشع الصور وهي تمارس أبشع الجرائم ضد الشعب الفلسطيني الأعزل وعبروا في قصائدهم عن رفضهم الصريح لمسلسل الحروب والموت بلا ثمن وطرحوا بكل جرأة مسألة معالجة وضع الفلسطينيين وزادت هذه الموجة الرافضة مع توالي أحداث الانتفاضة الأولى[xlii]. والبداية مع الشاعر الإسرائيلي طوبيا ريبنر טוביה ריבנר الذي كتب قصيدة من أربعة أبيات يصف فيها الممارسات الإسرائيلية بالقذارة والخطيئة التي لن يغفرها الرب على سعة مغفرته!, ويؤكد فيها بأن قلوبهم لا

تنبض لأن دمائها قد جفت, وصارت كالحجر ليس فيها احساس أو شعور, إذ يتحول الانسان في مثل هذه الحالة الى مجرد آلة تنفذ ما تستقبله من ايعازات, وحياته تتحول الى كابوس في مدينة ليس فيها إلا الخوف والهلع المسيطر, يقول فيها:

הלב שחון. הדם המלכלך זורח. القلب جدب, والدم القذر يشرق
את, אני, אתה. أنتِ, وأنا, وأنتَ
מה שעשׂינו גם אל מלא רחמים אינו זולח. ما فعلناه, لن يغفره الرب الرحيم
ובהולים מתרוצצים בעיר של בעתה[xliii]. والمذعورون يركضون في مدينة الرعب.

وفي قصيدة "صلاة لله الرب תפילה לאללה השם" للشاعر دافيد أفيدان דווד אבידן [xliv] يصف فيها وحشية الوضع والمأساة التي يعشها اليهود في فلسطين وهم يسيرون نحو الهاوية من خلال استعماله لعبارات يائسون ومكتئبون وميتون, ويتضرع الى الله أن يساعدهم؛ فهم ما زالوا هنا كما كانوا من قبل في الماضي -ويقصد عزلتهم أيام الجيتو فهم اليوم في إسرائيل يعيشون في جيتو كبير- لم يتغيروا ولم يحاولوا ذلك لأنهم اتخذوا طريق الهاوية طريقاً لن يحيدوا عنه, يقول فيها:

תפלה לאללה השם בשמים המושל במרום صلاة لله رب السماء والحاكم في العوالي
באנו אליך אלה צלמות דמות לתרם جئنا اليك إله الموت بحق الموت ساعدنا
אנחנו שפלים, עלובים, עכורים, ושוכני-עפר نحن أذلاء, يائسون, مكتئبون, وميتون
אנחנו עוד כאן, ואנחנו היינו כבר ونحن مازلنا هنا, كما كنا بالفعل
אנחנו הולכים להלם סופנית עד הסוף ونحن نسير في طريقنا نحو الهاوية
לא איש יותר כאן את כל הגויות לאסף[xlv]. ولم يتنازل أحد عن جمع الموتى.

وفي موقف مؤثر لجلد الذات الإسرائيلية تطالعنا الشاعرة دفورا أمير דבורה אמיר[xlvi] بقصيدتها "فتق بالشبكية קרע ברשתית" رسمت من خلالها صورة للأطفال والشيوخ والنساء الفلسطينيين بعد احدى الهجمات الإسرائيلية على قريتهم, وكأنها تستشعر الأحداث التي تسبق أي عمل مفزع فتفتق شبكية العين وتدمي القلب؛ فصورة انهيار البيت على أهله مطبوعة في حدقات العيون, وكأنه قاع بحيرة عميق جدب يحن الى المياه التي فارقته, وفي تعبير مؤثر تقول انحفر في عينيّ فتق بالشبكية لصورة لا يمكن ترقيعها أو اصلاحها لشيخ مقطوع اليدين, أو لطفلة تبحث عن كراستها بين الأنقاض, ونساء سلخن من بيوتهن, كل تلك المشاهد خرقت عيوني, وقلت في نفسي إنّ من يخرق بيت انسان آمن؛ لا بد من أن تخرق عينيه, ونهايته أن تقلع روحه, تقول فيها:

אפשר היה לחוש שם תכונה שלפני מעשה מחריד من الممكن أن نستشعر هنا عمق الأحداث التي تسبق عمل مفزع
מנוע כבד נעץ טרטור בקרום האדמה. مثل محرك ثقيل يحدث ارتجاجاً في الأرض
אל תוך אישוני המרחבים קרס בית, فقد انهار بيت في حدقات عيوني
התפורר, נחת בקרקעים העין. تفتت, وتبعثر في قاع عيني
פזל של יבשנקש, כמו תחתית של אגם גווע, بأزل من الجدب المتجلط كأنه قاع بحيرة عطشاً
נחרץ בעיני, "קרע ברשתית" את אומרת, انحفر في عيني, كما تقولين "فتق بالشبكية"
ואני יודעת, יש מראות שאין להם תקון, إنني أعرف, هناك مناظر لا يمكن اصلاحها
זקן קטוע ידים מטלטל שרוולים ריקים אל פניו, كشيخ مقطوع اليدين ويلوح بأكمام فارغة الى وجهه
ילדה מחפשת מחברת בהריסות. وكطفلة تبحث عن كراستها بين الأنقاض
ואחד כך, קללה של נשים שנתלשו מקיר ביתן. وبعد ذلك, لعنة نساء سلخن من بيوتهن.
קדחה לי בארובת העין, ואמרתי לי, (كل تلك المشاهد) خرقت مقلة عيني, وقلت لنفسي
מי שמצלק בביתו של אדם- סופו מצלק בעיניו שלו, من يخرق بيت انسان- في النهايه تُخرق عينه.
מי שמעקיר ביתו של אדם- סופו מעקיר בנפשו שלו[xlvii]. ومن يقتلع بيت انسان – في النهاية تُقلع روحه.

ولا بد من التذكير بأن الموقف الأخلاقي لهؤلاء الشعراء في المجموعة الشعرية "بقلم من حديد" يمثل موقف الأقلية من بين الشعراء والأدباء اليهود, وهكذا على مر التاريخ فإن النتاج الأدبي يعبر دوماً عن المحظور والممنوع[xlviii]", وهو بذلك يثير تساؤلات حول الدور السياسي والإحساس الانساني للشعر العبري وعلاقته مع الواقع الذي يعيشه الشاعر, ومن هذا المنطلق كتبت مؤلفة المجموعة الشعرية طال نيتسان טל ניצן قصيدتها "خان يونس חן יונס", والتي تعبر فيها عن آثار الاحتلال على الأطفال الفلسطينيين والإسرائيليين معاً, وتعقد بينهما مقارنة شعرية لا تخلو من التحذير والتلويح بالقوة الى الفلسطينيين تقول فيها:

החתול ינזף ויוגלה למרפסת, القط يُنتهر ويجلى الى الشرفة
השׂריטה על ידו של ילדי תנושק, والخدش على يد أبني تمحوه قُبلة
אך בנך הקטן מכיר בהלות لكن أبنك الصغير يعرف المفاجئة
שלא ימחו בנשיקה. التي لا تمحى بقُبلة.
גאות המשפחה! רק בן שנתים مفخرة العائلة! عمره عامان
וכבר יודע לצעק לאמו שתתכופף وها هو يعرف الصراخ في أمه كي تستلقي
כשטסות היריות אל תוך הבית. حينما يتطاير الرصاص الى داخل البيت.
"החלון שממנו תבוא הרוח- الباب الذي تأتي منه الريح-

סגר אותו ושכב לנוח", سده واستريح,
אתה מצטט, אבל انت تقتبس, ولكن
הרוח הערה אינה זקוקה לחלונות الريح الشريرة ليست بحاجة الى نوافذ
וקליעינו היעילים חודרים דלתות, כתלים, فقذائفها المدوية تقتلع الأبواب والجدران
שמשות, ברוח מתנדנד עכשו والزجاج, يهتز أمام الرياح الآن
השלט הירוי שבו התרעת בתמימות: اللافتة التي تحذر في سذاجة
שימו לב! כאן גרות משפחות! انتبه! هنا تسكن عوائل!
ומן הדודים המנוקבים נגרים ومن الخزانات المثقوبة تسيل
המים על לחיי הבית[xlix]. المياه الى جوانب البيوت.

وعن تأثير الانتفاضة الفلسطينية على المجتمع الإسرائيلي يقول رئيس الكنيست السابق ورئيس حزب العمل الإسرائيلي "أفراهام بورج אברהם בורג": "أدت الانتفاضة إلى زلزلة الأرض تحت أقدامنا, وبعد عامين من الانتفاضة بات من الواضح أن هناك شعباً فلسطينياً... إنّ الشارع الإسرائيلي لا يتحدث عن الحرب المقبلة, ولا عن ميدان القتال المستقبلي وطائرات الغد؛ بل يتحدث عن العملية, والحجارة, والزجاجات الحارقة, وإنّ نظرية الأمن لم تعد استراتيجية؛ بل مخاوف يومية للفرد الإسرائيلي حيال رعب الانتفاضة الفلسطينية"[l]. وهو ما دفع بالمؤسسة العسكرية للعمل على قمع الانتفاضة بكافة السبل المشروعة منها وغير المشروعة.

وفي صورة مرثية مؤثرة كتب الشاعر أهارون شبتاي אהרון שבתאי قصيدته "الى الدكتور ماجد ناصر לד"ר מג'ד נאסר" بصورة خطاب موجه الى أحد الأطباء الفلسطينيين, والذي كان يسابق الزمن في جمع عبوات الدم للجرحى الفلسطينيين؛ من جراء هجمات الإسرائيليين على ستة مدن فلسطينية, وما إن أراد أن يوصلها الى المستشفى؛ حتى منعته القوات الإسرائيلية التي طوقت المستشفى من إدخالها واسعاف الجرحى, وتركتهم في حالة نزيف الى أن استشهدوا واحداً تلو الآخر, في مشهد مؤثر وفاجعة تدمي قلب الإنسانية جمعاء, يقول فيها:

הדאר האלקטרונו לרגע לא נדם, لم يتوقف البريد الإلكتروني ولا لحظة
מזה שלשה ימים שוטף כגל עכור منذ ثلاثة أيام مليء بالرسائل مثل موجة عكرة
פגרום בשש ערים, רופא מבית סחור بسبب مذبحة في ستة مدن, وطبيب من بيت ساحور
אסף לנפגים בית לחם מנות דם جمع لمصابي بيت لحم عبوات الدم
אך אי אפשר לשלח, את בית החולים لكن لم يتمكن من إرسالها, لأن المستشفى
מכתרים טנקים, ולכן הובל אליו طوقته الدبابات, لذلك أحضروا إليه
מככר מנע'ר נער מת מירי צלף. من ميدان مغر طفل قتلته نيران قناص.
ד"ר נאסר היקר, האם מלים دكتور ناصر الغالي, هل الكلمات
ירעידו אצבע של צלף? האם דמעות تردع اصبع القناص؟ وهل الدموع
יקנו תחבושת? חדלתם למנות تشتري ضمادات؟ توقفتم عن احصاء
(אתה כותב היום) את פצועיכם, (ستكتب اليوم), جرحاكم
חלקם שוכבים בשטח. האם תתנחם بعضهم ملقون بالساحة. هل يرضيك
בכך שטנקים אלה שהורגים בשמי أن تلك الدبابات التي تقتل باسمي
חופרים קבר עמק יותר לבני עמי?[li]. هي التي تحفر قبر عميق لأبناء شعبي.

واجمالاً نجد بأنّ الاحتلال كان ولا زال سبباً في كل الكوارث والمحن التي تحدث في فلسطين ويسلب من اليهود الشعور بالراحة والأمن, ويترك الفرد الإسرائيلي يعيش من خلاله في جدلية متناقضة بين الحياة والموت, بالإضافة الى أن هناك دولة لديها جيش ومؤسسات وأجهزة أمنية وثقافية واعلامية تجند كل طاقاتها من خلالها من أجل تغليب وضع الاحتلال وسلب حقوق الشعب الفلسطيني[lii]. ومع هذا وغيره, نجد أنّ السلام في فلسطين أصبح أمراً معقداً, ويصعب الحصول عليه؛ وذلك لاختلاف الرؤى والتوجهات الإسرائيلية نحو مفهومه, وهو أمر يعود الى طبيعة تكوين المجتمع الإسرائيلي كونه مجتمع خليط من عناصر مختلفة, وايديولوجيات عديدة, وطوائف وأعراق شتى, وثقافات واتجاهات فكرية متناقضة؛ كل ذلك وغيره أدّى الى تشتت المجتمع الإسرائيلي وتشرذمه؛ وهو ما جعل التعامل مع أي مسألة من المسائل الجوهرية لحل القضية الفلسطينية أمر يملئه الشك والتردد والتجاذب ما بين الموافقة والرفض على اختلاف الجماعات اليهودية[liii].

الخاتمة:

توصلت الدراسة الى جملة من الاستنتاجات كان من أهمها:

١- عبر الأدب العبري عن أهداف الصهيونية في عدة مراحل وفترات من تاريخه, وكان الشعر أحد أهم المرتكزات التي استندت إليها الصهيونية في نشر أفكارها وأيديولوجيتها والتغني بها بين الجماعات اليهودية خدمة للمشروع الصهيوني في فلسطين.

٢- إنّ طبيعة الأمور تقتضي من الشاعر والأديب أن لا يكون في صف العدوان والظلم وقمع الحريات الانسانية؛ إلّا إنّ الأديب العبري المتشبع بالفكر الصهيوني لم يتخذ مثل هذا الموقف؛ بل نجد تأييده وفي كثير من الأحداث لصالح العدوان والاحتلال والاستيطان, وأسهم بقصائده وكتاباته بتزييف الحقائق وتكريس الاحتلال.

٣- يكاد يجمع الأدباء والشعراء على رسم صورة أدبية لحالة الحرب والعنف الإسرائيلية, التي أحدثت انقساماً بينهم في شكل التعبير عنها، ولكن هذا الانقسام لا يصل الى درجة التناقض الجوهري حول القضايا الأساسية لليهود.

٤- اتضح إنّ أحداثا كالحرب والعنف قد جعلت كثيراً من الأدباء والشعراء العبريين أكثر تطرفاً ضد العرب, وإنّ أعمالهم الأدبية لا تزال تنظر الى العرب باستعلاء وازدراء, وهذا نابع من حقيقة أنّ الأديب العبري الصهيوني يختلف بشكل واضح عن غيره من الأدباء بما تربى عليه من ميل للغطرسة والتعصب والعدوانية.

المصادر:

١- أبو غدير, د.محمد محمود: إسرائيل بعد خمسين عاماً- اليوتوبيا الصهيونية بين الحلم والواقع, مجلة ابداع, الهيئة المصرية العامة للكتاب, ع ٦, القاهرة, ١٩٩٨.
٢- الشامي، د.رشاد عبد الله: تفكيك الصهيونية في الأدب الإسرائيلي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٣.
٣- الشامي، د.رشاد عبد الله: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، سلسلة عالم المعرفة, ع ١٠٢، الكويت، ١٩٨٦.
٤- الشيخ بدوي، د.زين العابدين متولي: الصراع العربي الإسرائيلي في الشعر العبري المعاصر حتى نهاية الموجة الواقعية، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١١.
٥- الصواف, محمد توفيق: أثر الحرب في الشعر الإسرائيلي ومضامينه, مجلة الموقف الأدبي, ع ٤١٥, دمشق, نوفمبر ٢٠٠٥.
٦- ضيف، د.محمد فوزي: الإتجاهات الجديدة في الأدب العبري الحديث بعد حربي يونيو ١٩٦٧ واكتوبر ١٩٧٣، مطبعة جامعة المنوفية، القاهرة، ٢٠٠٦.
٧- عبود, د.محمد: التمرد على الصهيونية في الادب الإسرائيلي المعاصر, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, ٢٠١٢.
٨- علام، د.عمرو عبد العلي: أثر الإنتفاضة الفلسطينية في الآخر (الإسرائيلي) دراسة في الأدب الإسرائيلي، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧.
٩- علام، د.عمرو عبد العلي: الأسطورة الزائفة رحيل الصهيونية والبحث عن بديل في الأدب الإسرائيلي، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥.
١٠- علام، د.عمرو عبد العلي: المجتمع الإسرائيلي بين مطرقة الصهيونية وسندان الواقع (دراسة في الأدب الإسرائيلي)، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥.
١١- العياري، صالح: في الشعر العبري والصهيوني المعاصر، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٨٧.
١٢- كنفاني، غسان: في الأدب الصهيوني، دار منشورات الرمال، قبرص، ٢٠١٣.
١٣- المسيري, د.عبد الوهاب: الصهيونية والعنف من بداية الاستيطان الى انتفاضة الأقصى, دار الشروق, القاهرة, ٢٠٠١.
١٤- المسيري, د. عبد الوهاب: الانتفاضة الفلسطينية وأزمة الصهيونية دراسة في الادراك والكرامة, الهيئة العامة المصرية للكتاب, القاهرة, ٢٠٠٠.
١٥- وهب الله, عبد الوهاب محمود: ملامح التطور في صورة الفلسطيني بعد الانتفاضة الفلسطينية من خلال رواية "תעתועון أخدوعة" ليتسحاق بن نير, مجلة رسالة المشرق, المجلد ٦, مركز الدراسات الشرقية, جامعة القاهرة, ١٩٩٧.
١٦- במבי: חרא והרציות, עיתון הארץ, מוסף תרבות וספרות, 3/5/2005.
١٧- חנן חבר ומשה רון: אז עוד לא ידענו שהכיבוש יהיה תמיד, עיתון הארץ, 15/6/2005.

١٨- חבר, חנן: אל תגידו בגת, הנכבה הפלסטינית בשירה העברית 1948-1958, אסופת שירים, הוצאת משותפת של זוכרות, סדק, פרדס, ופרהסיה, 2010.
١٩- נווה, אפרת: כתם, עיתון הארץ, מוסף תרבות וספרות, 3/4/2015.
٢٠- ניצן, טל: בעט ברזל, שירת מחאהעברית 1984-2004, חרגול הוצאת לאור, תל אביב, 2005.
٢١- רביב דרוקר ועופר שלח: בומרנג- כישלון המנהיגות באינתיפאדה השנייה, כתר הוצאה לאור, ירושלים, 2005.
مواقع النت:
١- http://library.osu.edu/sites/users.galron./00373.php.
٢- http://www.yeshgvul.org/index-a.asp
٣- http://coajitionofwomen.org/home/arabic/organizations/womeninblack
٤- http://www.gush-shalom.org/english/intro.html
٥- http://www.icahd.org/?page-id=698&lang=he.
٦- http://www.taayush.org/?page_id=249
٧- http://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/81749.html 7/12
٨- http://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/81749.html 5/12
٩- www.mahsom.com/articie.php?id=553
١٠- www.openu.ac.il/library/whatishew/92850
١١- http://Library.0su.Edu./projects/Hebrew-lexicon/00920.Php
١٢- http://Library.0su.Edu./projects/Hebrew--lexicon/00043.Php
١٣- http:// www.Haaretz.co.il/hasite/spages/116220.htmil.

(١) الشامي، د.رشاد عبد الله: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، سلسلة عالم المعرفة, ع ١٠٢، الكويت، ١٩٨٦، ص ٨٦.

(٢) كنفاني، غسان: في الأدب الصهيوني، دار منشورات الرمال، قبرص، ٢٠١٣، ص ٤٤.

(٣) الصواف, محمد توفيق: أثر الحرب في الشعر الإسرائيلي ومضامينه, مجلة الموقف الأدبي, ع ٤١٥, دمشق, نوفمبر ٢٠٠٥, ص ٢٢٤.

(٤) العياري، صالح: في الشعر العبري والصهيوني المعاصر، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٨٧، ص ٢١٣.

(٥) حنان حيفر.

(٦) طال نيتسان: كاتبة وشاعرة وناقدة إسرائيلية, وهي مترجمة نشيطة ولدت في يافا، درست الفنون والأدب العالمي, يسارية ترفض العدوان الاسرائيلي على الشعب الفلسطيني، أصدرت خمس مجموعات شعرية، وكذلك الأنثربولوجيات في مواضيع مختلفة، منها في شعر الاحتجاج مثل "قلم من حديد– ٢٠٠٥" و "أن تنظر إلى الغيمة مرتين ٢٠١٢"، وقد ترجمت أشعارها الى عدة لغات. وقامت هي بترجمة نحو ثمانين كتاباً من عيون الأدب المنشور بالإسبانية. اعدت هذه المجموعة الشعرية

وهي في الثلاثينيات من عمرها, حاصلة على عدة جوائز على أعمالها الأدبية. للمزيد انظر: www.openu.ac.il/library/whatishew/92850

(٧) العياري، صالح: في الشعر العبري والصهيوني المعاصر، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٨٧، ص ٢٠٥.

(٨) الشامي، د.رشاد عبد الله: تفكيك الصهيونية في الأدب الإسرائيلي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٦٥.

(٩) الشامي، د.رشاد عبد الله: تفكيك الصهيونية في الأدب الإسرائيلي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٦٨-٦٩.

(١٠) المسيري, د.عبد الوهاب: الصهيونية والعنف من بداية الاستيطان الى انتفاضة الأقصى, دار الشروق, القاهرة, ٢٠٠١, ص ٢٨٧.

(١١) ניצן, טל: בעט ברזל, שירת מחאהעברית 1984-2004, חרגול הוצאת לאור, תל אביב, 2005, עמ 181-182.

(١٢) أهارون شبتاي אהרון שבתאי: أهارون شبتاي "אהרון שבתאי" (١٩٣٩ -): شاعر وكاتب صحفي ومترجم، ولد في تل أبيب، ويعمل أستاذاً للأدب اليوناني في الجامعة العبرية، وهو أخو الأديب الإسرائيلي يعقوب شبتاي "יעקב שבתאי" ووالد الشاعرة الإسرائيلية نانو شبتاي "ננו שבתאי"، صدر له ١٩ ديوان شعري كان أولها ديوان "חדר המורים" (غرفة المعلمين) سنة ١٩٦٦، وآخرها ديوان "טניה" (تانيا) سنة ٢٠٠٨. שוחט, צבי: חרם, לא רק באריאל, 7/12/2012: http://www.Haaretz.co.il/hasite/spages/116220.htmi.

(١٣) ניצן, טל: בעט ברזל, שירת מחאה עברית 1984-2004, חרגול הוצאת לאור, תל אביב, 2005, עמ 85.

(١٤) ניצן, טל: בעט ברזל, שירת מחאהעברית 1984-2004, חרגול הוצאת לאור, תל אביב, 2005, עמ 56-57.

(xv) דליה רביקוביץ: תינוק לא הורגים פעמיים, כל השירים עד כה, הוצאת הקיבוץ המאוחד, תל-אביב, 1995, עמ' 249, 285.

(xvi) شاي دوتان "שי דותן": (١٩٦٩-) شاعر إسرائيلي ولد في إيلات، يعمل محاضر في ورش الشعر، ينشر أشعاره في مجلات "هليكون" و"كرمل" والملحق الأدبي لصحيفة "ها ارتس". أهم أعماله "על קצה המותר" "حول منتهى الأفضلية" ٢٠٠٥، "כתבת: שירים וסיפורים" "عنوان: قصائد وقصص" ٢٠٠٨. لكسيكون الصفرات العبرية الحدشة: http://Library.0su.Edu./projects/Hebrew-lexicon/00920.Php.

(xvii) ניצן, טל: בעט ברזל, שירת מחאהעברית 1984-2004, חרגול הוצאת לאור, תל אביב, 2005, עמ 81.

(xviii) طوبيا ريبنر טוביה ריבנר: (١٩٢٤-) ولد في سلوفاكيا، وهاجر إلى فلسطين سنة ١٩٤١، وعمل استاذ للأدب العبري في جامعة حيفا، أهم أعماله: "שמש חצות" (الشمس منتصف الليل) ١٩٧٧، פסל ומסכה" (تمثال وقناع)، "שירים מאוחר" (قصائد متأخرة) ١٩٩٩، "חיים ארוכים קצרים" (حياة طويلة قصيرة) ٢٠٠٦، "יופי מאוחר (جمال متأخر) ٢٠٠٩. لكسيكون الصفرات العبرية الحدشة:

http://Library.0su.Edu./projects/Hebrew--lexicon/00043.Php

(xix) ניצן, טל: בעט ברזל, שירת מחאהעברית 1984-2004, חרגול הוצאת לאור, תל אביב, 2005, עמ 47.

(xx) علام، د.عمرو عبد العلي: أثر الإنتفاضة الفلسطينية في الآخر (الإسرائيلي) دراسة في الأدب الإسرائيلي، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٧٧.

(xxi) ניצן, טל: בעט ברזל, שירת מחאהעברית 1984-2004, חרגול הוצאת לאור, תל אביב, 2005, עמ 162.

([xxii]) أبو غدير, د.محمد محمود: إسرائيل بعد خمسين عاماً– اليوتوبيا الصهيونية بين الحلم والواقع, مجلة ابداع, الهيئة المصرية العامة للكتاب, ع ٦, القاهرة, ١٩٩٨, ص ٧٢.

([xxiii]) מאיר שליב مئير شاليف: أديب إسرائيلي, ولد في القدس سنة ١٩٤٨, والده الشاعر يتسحاق شاليف, درس الفلسفة بالجامعة العبرية في القدس, أنتج وقدم العديد من البرامج للتلفزيون الإسرائيلي, وله عمود يومي في صحيفة يديعوت أحرونوت, من أعماله: رواية "רומן רוסי" "رواية روسية"١٩٨٨, ورواية "עשו"١٩٩١, "התנך עכשו""النتاخ الآن", ورواية "فونتينلا"٢٠٠٢، ورواية "حمامة وصبي"٢٠٠٦. للمزيد انظر: (علام، د.عمرو عبد العلي: المجتمع الإسرائيلي بين مطرقة الصهيونية وسندان الواقع (دراسة في الأدب الإسرائيلي)، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥، ص ١٨٦).

([xxiv]) علام، د.عمرو عبد العلي: المجتمع الإسرائيلي بين مطرقة الصهيونية وسندان الواقع, المصدر السابق, ص٢٨.

([xxv]) במבי: חרא וחרציות, עיתון הארץ, מוסף תרבות וספרות, 3/5/2005.

([xxvi]) במבי: חרא וחרציות, עיתון הארץ, מוסף תרבות וספרות, 3/5/2005.

([xxvii]) ضيف، د.محمد فوزي: الإتجاهات الجديدة في الأدب العبري الحديث بعد حربي يونيو ١٩٦٧ واكتوبر ١٩٧٣، مطبعة جامعة المنوفية، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٩٥.

([xxviii]) נווה, אפרת: כתם, עיתון הארץ, מוסף תרבות וספרות, 3/4/2015.

([xxix]) عبود, د.محمد: التمرد على الصهيونية في الادب الإسرائيلي المعاصر, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, ٢٠١٢, ص ٦١-٦٢.

([xxx]) חבר, חנן: אל תגידו בגת, הנכבה הפלסטינית בשירה העברית 1948–1958, אסופת שירים, הוצאת משותפת של זוכרות, סדק, פרדס, ופרהסיה, 2010, ע"מ 9–10.

([xxxi]) http://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/81749.html 7/12

([xxxii]) http://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/81749.html 5/12

([xxxiii]) علام، د.عمرو عبد العلي: أثر الإنتفاضة الفلسطينية في الآخر (الإسرائيلي) دراسة في الأدب الإسرائيلي، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٧٥.

([xxxiv]) جنود ضد الصمت חיילים נגד שתיקה: حركة احتجاجية إسرائيلية تأسست سنة ٢٠٠٤ من قبل شموئيل نفو وهو رقيب في سرية استطلاع لواء الناحال, وتكونت من الجنود الذين أنهوا الخدمة في الجيش الإسرائيلي, وقرروا رواية ما شاهدوه من ممارسات وفظائع بحق الفلسطينيين, وهم ليسوا من رافضي الخدمة بالجيش؛ وانما يسعون الى وضع مرآة أمام المجتمع ليعرف الثمن الأخلاقي الذي يدفعه الجندي الإسرائيلي مقابل الخدمة في المناطق العربية المحتلة على حد وصفهم. للمزيد انظر: 7/3/2010 http://www.yeshgvul.org/index-a.asp

([xxxv]) 9/3/2010 http://coajitionofwomen.org/home/arabic/organizations/womeninblack

([xxxvi]) 20/4/2010 . http://www.gush-shalom.org/english/intro.html

([xxxvii]) 24/4/2010 http://www.icahd.org/?page-id=698&lang=he

([xxxviii]) 17/5/2010 http://www.taayush.org/?page_id=249

([xxxix]) اندلعت انتفاضة الأقصى الثانية في ٢٩ سبتمبر عام ٢٠٠٠م, وذلك في أعقاب زيارة أريئيل شارون אריאל שרון باحة المسجد الأقصى تحت حراسة أمنية مشددة، زاعماً أنّه مكان يهودي مثله مثل أي مكان أخر يحق له ولغيره من اليهود زيارته, وقد اعتبر الفلسطينيون هذه الزيارة تحدياً سافراً لمشاعرهم ومشاعر المسلمين في العالم، فاندلعت شرارة الانتفاضة الفلسطينية الثانية والتي استمرت الى نهاية العام ٢٠٠٢م. للمزيد انظر: (جبة, د. عبد الخالق عبد الله: إسرائيل من الادعاء بالحق الى إعادة كتابة التاريخ– دراسة في آليات تعميق الصراع, دار النشر والتوزيع بلودان, القاهرة, ٢٠٠٥, ص ٤٧.

([xl]) المسيري, د. عبد الوهاب: الانتفاضة الفلسطينية وأزمة الصهيونية دراسة في الادراك والكرامة, الهيئة العامة المصرية للكتاب, القاهرة, ٢٠٠٠, ص ١٧٤–١٧٥.

([xli]) חנן חבר ומשה רון: אז עוד לא ידענו שהכיבוש יהיה תמיד, עיתון הארץ, 15/6/2005.

([xlii]) علام، د.عمرو عبد العلي: الأسطورة الزائفة رحيل الصهيونية والبحث عن بديل في الأدب الإسرائيلي، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥، ص ٦٨.

([xliii]) ניצן, טל: בעט ברזל, שירת מחאהעברית 1984–2004, חרגול הוצאת לאור, תל אביב, 2005, עמ 144.

([xliv]) دافيد أفيدان דוד אבידן: شاعر وناشر يهودي، وأحد أبرز الشعراء الإسرائيليين في العصر الحديث، ولد سنة ١٩٣٤ في تل أبيب، ومات فيها سنة ١٩٩٥، عمل استاذاً في جامعة تل–أبيب، لديه ما يقرب من ٢٠ ديوان شعري، ورئيس دارين للنشر، تُرجمت الكثير من أعماله إلى اللغة الإنكليزية، وحصل على الكثير من الجوائز عن أعماله الشعرية والترجمة، من أهم أعماله: בעיות אישיות 1957, שירים בלתי אפשריים 1968, שירים שימושיים 1973, שירי מלחמה ומחאה 1976, משהו בשביל מישהו, שירים חיצוניים. للمزيد ينظر (الشيخ بدوي، د.زين العابدين متولي: الصراع العربي الإسرائيلي في الشعر العبري المعاصر حتى نهاية الموجة الواقعية، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١١، ص ٢٥٢).

([xlv]) ניצן, טל: בעט ברזל, שירת מחאהעברית 1984–2004, חרגול הוצאת לאור, תל אביב, 2005, עמ 44.

([xlvi]) دفورا أمير דבורה אמיר: شاعرة وأديبة إسرائيلية ولدت في القدس سنة ١٩٤٨ من والدين من أصل بولوني, تدير مشروع للقراءة في مركز التكنولوجيا التربوي, لها عدة دواوين شعرية وترجمة أشعارها الى اللغة الانكليزية. للمزيد انظر: http://library.osu.edu/sites/users.galron./00373.php.

([xlvii]) ניצן, טל: בעט ברזל, שירת מחאהעברית 1984–2004, חרגול הוצאת לאור, תל אביב, 2005, עמ 109.

([xlviii]) ניצן, טל: בעט ברזל, שירת מחאהעברית 1984–2004, חרגול הוצאת לאור, תל אביב, 2005, עמ 181.

([xlix]) ניצן, טל: בעט ברזל, שירת מחאהעברית 1984–2004, חרגול הוצאת לאור, תל אביב, 2005, עמ 37.

([l]) وهب الله, عبد الوهاب محمود: ملامح التطور في صورة الفلسطيني بعد الانتفاضة الفلسطينية من خلال رواية "תעתועון أخدوعة" ليتسحاق بن نير, مجلة رسالة المشرق, المجلد ٦, مركز الدراسات الشرقية, جامعة القاهرة, ١٩٩٧, ص١٦٠.

([li]) ניצן, טל: בעט ברזל, שירת מחאהעברית 1984–2004, חרגול הוצאת לאור, תל אביב, 2005, עמ 53.

([lii]) חנן חבר, ומשה רון: אז עוד לא ידענו שהכיבוש יהיה תמיד, עיתון הארץ 15/6/2005.

([liii]) علام، د.عمرو عبد العلي: الأسطورة الزائفة رحيل الصهيونية والبحث عن بديل في الأدب الإسرائيلي، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥، ص ٢٤٨.